الاستعارة البصرية للصورة وكيفية قراءتها

د. عبدالباري محمد مادي
د. فوزي محمد سالم المحمودي
كلية الفنون والإعلام، جامعة طرابلس

مقدمة:

الصورة جوهر الفنون البصرية مع لغتها الجديدة، التي اكتسبت الطاقة البصرية للإنسان، بحيث استحوذت على عقله وخياله، وتطورت المسألة في تفاعل غير مرئي بين الصورة والوعي البشري، الصورة هي منتدى الفنون والعتبات التي نقف عليها قبل أن ندخل إلى العالم الغير المرئي. شهدت الصورة العديد من التحولات الفنية وقد ذكر محمود حسن [1] أن إحدى سمات عصرنا هي السيطرة على الصورة وسيادتها، لتكون واحدة من الأدوات والمعرفة الاقتصادية الأهم، ولا يعني ذلك أن الصورة شيء جديد في تاريخ البشرية، فبواسطتها يتم تحديد الفكر والمعنى، والرؤية هي جوهر الصورة كما أكد عبد الحميد [3] أن ما يمكن أن يُنسب إلى الصورة وعصرها الذهبي بكل سلبياته وإيجابياته هو أن الفكر مستحيل بدون صورة، على الرغم من استبداد ثقافة عالمية لكل مجتمع بهويته الخاصة لأنه يحافظ على عاداته وتقاليده وميوله الدينية والعالمية، مثل العلم والتعليم والثقافة، يشير الغامدي [2] إلى أن أحد أهداف الثقافة الفنية هو خلق صورة محددة للثقافة والعمل على تعميق الثقافة الفنية من خلال خلق نقاط اهتمام وتوافق في الآراء حول الأهداف والآثار التي يمكن ان تكون، الطاهر يشرح [4].

أن المستودع الدلالي للصورة يجعلها أداة اتصال ذات تأثير عاطفي، إدراكي، جمالي وثقافي عالي، وتنقلها إلى وسيط حوار موسع يخلق ثروة من المعاني والدلالات وحضور مكثف في الثقافة اليومية والمشهد المعرفي. وبالنظر إلى العولمة، التي تستخدم القدرات الإعلامية بطريقة ضيقة، أتاح التطور المذهل لعالم التكنولوجيا ووسائل الاتصال فرصة نادرة لنشر الصور وقيادتها، ما جعل الصورة أن تصبح `` لغة جديدة " وأهم لغة بشرية، وكصناعة تتحكم في مجموعة واسعة من مجالات العلوم والمعرفة والفن والتسلية، اكد بخيت [5]. وفي موجة ثورة المعلومات والقفزات التكنولوجية المتتالية جلبت الصورة العديد من التغييرات في صناعة وثقافة الإعلام، يخبر بالعابد [7] أن التلفزيون الفضائي والشبكة العالمية أسسا ثقافة عامة جديدة، تمتد عبر الأجيال والأجناس والطبقات، هذه الثقافة افرزت ظاهرة الذوق الفني ، ومنذ زمن أفلاطون

ابتليت هذه الظاهرة بأجيال من المفكرين والفلاسفة. ذكر بسيوني [8] أن كلمة الذوق تدل على الاستجابة الجمالية للفرد للمحفزات الخارجية، وتؤثر الصورة بعمق على المتلقي، وتترك بصمة واضحة على خياله وذاكرته. وتلعب جماليات الصور دورًا مهمًا في جذب الانتباه إلى المتلقي، وأشار قزاز إلى أن الفن أصبح أكثر أهمية من خلال دوره، يقول عطية [10] أنه عندما يقبل الخبير رؤية الصورة أو العمل الفني، فإنه يركز نظره على هذا الجانب الذي يظهره الفنان كما لو أنه ينظر من خلال نافذته، ويذكر الغوثاني [11] أن فحص القبول الجمالي في الفن البصري وتحليل الآليات الإبداعية التي تؤدي إلى الفهم والنجاح التكويني والوعي ببنيته وخصائصه التعبيرية فقط من خلال اعتماد منهجية القراءة التي تأخذ في الاعتبار الوضع الفلسفي والمؤسسات الثقافية والنقدية كأدوات للوصول إلى مسارات الذوق الفني العالي وحان الوقت لأن تكون أكثر.

المبحث الأول: الإطار المنهجي للبحث

مشكلة البحث :

كشف استعراض للدراسات السابقة ومراجعة لما تم كتابته عن الذوق الفني ودرجة تعرض الثقافة لثقافة المتلقي للكشف عن الاختلاف في الرؤى بوجود ثقافة الروابط بين ثقافات الصورة ودورها في إثراء الذوق الفني لدى المتلقي متمثل في السؤال التالي:

هل تثري ثقافة الصورة الذوق الفني للمتلقي؟

ويكون الوصول للإجابة من خلال الأسئلة التالية:

1. ما مكونات الصورة الفنية وكيف يمكن تذوقها؟.
2. كيف تستخدم الصورة لتطوير الذوق الفني للمتلقي؟.

أهمية البحث:

يمكن أن يساعد البحث في:

1. توضيح عناصر الصورة التي يمكن تذوقها.
2. دمج ثقافة الصورة والذوق الفني .
3. كشف الأبعاد المختلفة لثقافة الصورة ودورها في إثراء الذوق الفني للمتلقي .
4. كشف تأثير الصورة على التربية النفسية الاجتماعية.

5. المساعدة في عملية تجذير الصورة .

أهداف البحث:

يهدف إلي:

1. شرح عناصر الصور وتعبيراتها وقيمتها الجمالية .
2. شرح كيف يمكن تصور الصورة الفنية .
3. تطوير رؤية المتلقي من خلال الصور .
4. شرح درجة الذوق الفني المتأثر بتكوين الصورة الفنية.

المبحث الثاني: مقومات الصورة الفنية التي يمكن تذوقها

(دور الصورة الفنية في إثراء التذوق الفني لدى المتلقي)

المفهوم الاصطلاحي للتذوق الفني:

أثبت مصطلح "الذوق" أهميته الفنية في إنجلترا منذ عام 1760 م، وتشير عفاف فرج إلى أن الناقد الكندي نور تروب فراي Northrop Frye 1912–1991 رأى أن معظم اللغات استخدمت هذا الاستعارة لإديسون استخدام الطعم في مجال الأطعمة والمشروبات لسلوك خاص. وفي المجال الفني ذكر عبد الحميد [3] أن "أديسون" عرّف هذه الملكة بأنها ملكة الروح، التي تولي اهتمامًا وتستجيب لجوانب الجمال من أجل التعبير عن ملكة العقل، والتي تميز جميع الأخطاء الواضحة من قبل التعبير عن ملكة الرسم والتلوين ولاحظ مظاهر النقص بكراهية أو عدم تفضيل.

شرح مراد: الذوق الفني هو قدرة متأصلة لدى الجميع، تمامًا مثل القدرة على الإبداع، كما ذكر بيرت وأبو حطب، أن الذوق الفني هو قدرة متميزة ومضمونة من خلال اختبارات الذوق الجمالي، التي أجريت على التلاميذ والبالغين وأثبتت أنها –على الإطلاق– في مراحل التنمية تبدو المهارات التقنية مستقلة عن الإبداع الفني، وأشار العلماء أيضًا إلى الفروق الفردية في القدرة من خلال دراسات قامت على تحليل المهارات الفنية وفحص سلوك الفنانين، وقد حددت هذه الدراسات ستة عوامل تؤثر على القدرات التقنية:

1. – الذوق الجمالي.
2. – عامل الذكاء الجمالي.

3. – خيال مبتكر يمثل القدرة على الانطباعات الحسية في الإنتاج الجمالي.
4. عامل السهولة المعرفية او القدرة على مراقبة واستدعاء التجارب الحسية.
5. عامل المهارة اليدوية.
6. عامل الثبات.

الحساسية الجمالية:

هذا يعني رد فعل الشخص على المنبهات، وتعرفها الدكتورة عفاف احمد فراج في كتابها سيكولوجية التذوق الفني بانها توافق كل إجابة مع مستوى فني معين، وهذا النوع من الظواهر التي سادت في معظم الاختبارات القائمة على علم النفس لقياس حساسية التذوق، والتي تدفع الشخص إلى التعبير عن تفضيله لعملين تقنيين، أحدها هو خلق فنان مبتكر والآخر يقدمه البعض على أنه تشويه بحيث ينتهك واحد أو أكثر من القواعد الفنية الأساسية، ويفضل عمل الفحص وبنفس الأسلوب حتى يمكن معالجة الذوق الفني لتأكيد عملية الحساسية الجماعية على حساب العمليتين الأخرين وهما التحكم الجماعي والتفضيلية الجماعية على سبيل المثال، ويقول البسيوني [8] أن الاستجابة للمذاق الفردي هي استجابة جمالية للتأثيرات الخارجية.

المقصود بالمتذوق:

أوضح دكتور مصري عبدالحميد حنوره [9] أن هذا يعني أن الخبير يتلقى الصورة أو العمل الفني، ويعتقد أنه تلقى مستوى من التفكير والشعور بالتدريب للإثارة حول الأشياء، وهي عاطفة إبداعية، وهو مبدع، وإبداعه هو إبداع داخلي، والإبداع هو عمل فني فريد يتم تحقيقه لأول مرة لأنه غير قابل للتكاثر أو يمكن عرضه للآخرين. شدد حنورة على التشابه بين تجربة الخبير وتجربة الفنان، وأن تجربة الخبير هي تجربة خاصة، ويضيف صلاح الدين عطية [10] أنه عندما يقبل الخبير برؤية العمل الفني، يرى رأيه في الذي يشير إليه الفنان كما لو أنه كان ينظر من خلال نافذة يتم تحضيرها له، بينما كان الفنان يبتكر عمله ويحاول اتباع تسلسل العمليات التقنية والأخلاقية والفكرية التي أثارها الفنان أثناء الانتهاء من عمله، وعندما يتلقى المتلقي العمل الفني، يمكنه الاستمتاع بمستوى من الحماس الذي شعر به الفنان منذ إكمال عمله. ويضيف خميس [12] أنه يحاول تتبع آثار العيش التي أثارها الفنان، ويمكن أن تكون محاولته ناجحة أولاً لأن المتذوق مشابه في القيمة أو في المقابل، مع مراعاة الفنان أن ما فعله الخبير هو الابتكار الحر،

ولكن ما فعله الخبير هو ابتكار محدود ومحدود يحد من الأعمال الفنية للفنان، ويقرر جيروم برونر Jerome Bruner أن بذل جهد المتذوق هو مكافأته الخاصة و المكافأة هي إدراك وحدة الخبرة، وتجربة المتذوق تتطور وتعطي المتذوق طعمًا أفضل، ويذكر أن الاستماع إلى "Davorac" يحسن طعم "Beethoven" بما فيه الكفاية. كما يحدد "برلين" مجالات البحث المتعلقة بالخبير، ويذكر أن الدلالة عمومًا إلى المتلقي عند تعرضه لصورة أو عمل فني، تشير إلى سلوك الخبير والبحث عن الأعمال الفنية والتعرض لهذا مثل الحركات المادية المرصودة والخاصة للخبير.

الخصائص التي يجب أن تتوافر في المتذوق حتى يتمكن من تذوق الصورة الفنية:

عفاف فراج تشير إلى انه يجب أن يكون لديه عدد من الخصائص من أجل أن تتم عملية التذوق:

1- القدرة على لفت الانتباه إلى الصورة أو النتائج البيانية في عدم التركيز مما يؤدي إلى إضعاف الخبرة الفنية. يشرح عطية [10] أن الخبير يجب أن يستبعد كل ما يهمه من الإدراك، باستثناء موضوع الصورة أو العمل الفني. شدد البسيوني [8] على أن لديه الوقت للتأمل والدراسة، ويجب أن يكون الدافع للأذواق والخبراء حاسمًا للبصيرة (الفهم المفاجئ لتفاصيل المعرفة التقنية)، الذي يجعلها كاملة ويعطيها الموقف الثابت الكامل الذي تشير إليه التصورات الأخرى والتفاهمات والمعاني، ويضيف عطية [10] ما يفسد تجربة المتلقي أو خبراء الصورة أو العمل الفني هو حل تجربته بحيث يتم عزل الأداء، وتنقطع المشاعر عن التفكير، وما يعيد التجربة إلى الحياة هو استعادة العلاقة بين المعنى والدافع للرؤية وعمل الإدراك، بحيث تكون الجمالية هي الخبرة في العملية والتمتع والطعم كما تبدو مادية ومعنوية ككائن حي وحيد، يؤكد خميس [12] أن الخبير يجب أن يكون على دراية بأصول الفن، والتي بدونها ينزعج التقييم (وتشمل العوامل التي لا تفعل ذلك) فهي تشير إلى الفن، وهذا ما تؤكده الدكتورة أميرة حلمي مطر و وافقها " توماس منور Thomas Manor "، حيث أكد على أن الخبير يجب أن يمتلك المهارات والتقنيات اللازمة للتذوق، وتتطلب هذه التقنيات دراسة متأنية، وبمرور الوقت، يمكن أن تصبح هذه التقنيات تلقائية وبلا مجهود، ويمكن أن تصبح تلك التي تساهم لإكمال المتعة على مستوى فكري عالٍ، وفي هذا السياق يذكر أن الفرد بحاجة إلى الاستجابة لرد جمالي بعيدًا عن الاتجاه النفعي لإثارة عين الحس الفني بحيث تتوافق هذه الخصائص إلى حد كبير مع مفهوم القدرة كنوع من

الوصول إلى – الصورة أو أي نوع من الأداء – درجة من الإتقان الذي يسهل أداء المالك في أقصر وقت ممكن وبأقل جهد ممكن لتحقيق السلامة وتجنب الأخطاء. أن تذوق الفن ليس نوعًا من المعلومات النظرية، ولا حتى انعكاسًا عاطفيًا، بل مهارة مكتسبة. إنها مهارة يمكن صقلها وتحسينها، ويمكن أن تكون المعلومات الحقيقية مفيدة بعدة طرق، ولكن لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تكون بديلاً لتدريب المهارات المؤهلة.

2- يجب ألا يكون موجهاً نحو وجهة نظر معينة، على سبيل المثال قد يكون مذاقه مألوفاً أو ما هو شائع، ويجب أن يتميز رد فعل المتذوق بالتسامح حتى لا يبدو غير مرتاح عند النظر إلى صورة أو عمل فني غير عادي، ولا يجب أن يظهر عدم إعجابه بأي من تصميمات الفنان الرائد لمجرد أنها لا تتطابق مع تجاربه السابقة.

3- يجب أن يكون للخبير اتساع المجال، ويلاحظ ذلك من خلال توجيه اهتمامه نحو أشياء كثيرة، لأن اهتمامه لا يقتصر على الفن الحديث، ولكنه يمتد أيضًا إلى الفن الكلاسيكي، ولا ينبغي أن يقتصر اهتمامها على الأعمال الفنية ذات الطبيعة المحلية، فنحن نشعر بنفس الشيء الكثير من المتعة في النظر إلى المناظر الطبيعية، سواء كانت محلية أم لا.

4- في لحظات الذوق، يجب على الخبير عدم تفضيل محتوى الشكل أو الجوانب الفكرية للعمل على الجوانب السطحية المتعلقة بالجوانب الحسية، والاستجابة للأشياء الموجودة بالفعل في استجابة كاملة، وإدراك أيضًا أن هناك مكونات يمكنها تمييزها لأنها لن تواجه عمل جزء واحد أو مكون وأن هذه المكونات قد تعرضت لأسلوب فني محدد.

التذوق الفني وخصائص الصورة الفنية:

الصورة الفنية هي نوع من المعلومات من ذات (الفنان) إلى شخص آخر (المتلقي)، والغرض هو السعي لتحقيق أكبر قدر ممكن تسميته بالحالة (نحن)، مما يدفعه إلى حمل الصورة الفنية كرسالة إلى المستلمين الآخرين. يلاحظ حنورة [9] أن تعريفات الصورة الفنية لها فرق جوهري، حيث تم التعامل معها أحيانًا كمفهوم ميتافيزيقي، في حين بالنسبة ل (هيربرت ريد)، هذه الظواهر العضوية قابلة للقياس. كتب الفيلسوف البريطاني كولينجوود R. G. Collingwood : الصورة الفنية ليست شيئًا من الجسد أو الشعور، ولكن سلوك الفنان جوهر جسده أو حواسه، لكن الفعل الذي يخرج من وعيه هي تجربة جمالية غامضة، تحققت في الأفكار الشخصية وهذه التجربة الداخلية من المفترض أن تتعلق بالجسم أو بالجسم الخارجي (اللوحات أو الأحجار المنحوتة) وقد

لجأ الفنان إلى تجسيد تجربته الجمالية؛ لإثراء هذه التجربة، ولا شك في أن تشكيل الخبرة الجمالية العقلية بدون عمل مجسم يخرجها ويجعلها أقل تنظيماً ونقصًا بسبب ما يكتسبه الفنان إذا حول هذه التجربة العقلية إلى عمل مجسم خارجي. أن الصورة الفنية هي مزيج من مرحلتين: تجربة عقلية + تجسيد لهذه التجربة. من بين هذه الآراء: الصورة الفنية ليس سوى تعبير عن المعنى أو العاطفة أو الإثارة التي يقررها الفنان في العالم الخارجي، ويترجمها بحيث يكون البحث عن علاقات الخطوط والمسافات والألوان والأشكال متاح في الصيغ الجمالية وحدها وشخصيتها المميزة، أو هندسة معمارية، أو قصيدة، أو صورة، أو مقطوعة موسيقية، طالما أن كل من هذه الفنون قد اتخذ صيغة، أو جسما أو شكلا أصبح صورة فنية، وتقول: "شكل الصورة الفني هو الجسد الذي أخذه ولا يهمنا إذا كانت هذه الصورة الفنية عبارة عن مبنى أو تمثال أو صورة أو قصيدة ". تعريشة فكل شيء من هذه قد اتخذ هيئة خاصة أو فنية وتوظف الصورة الفنية في إثراء التذوق.

ضرورة دراسة الذوق والنقد الفني:

تمثل الصور الفنية التي ابتكرها الإنسان في رحلة البشرية جميع جوانب التجربة الإنسانية، والتراث المرئي للبشرية وتعطي الصورة قيمة له ويعيدها إلى الحياة، والتي لا تخلو من الذوق بدون حكم وبدون تمايز. إن توازن البشرية في الجماليات يشبه منجم ذهب يجب تنقيته وتحليله لإظهار صدقه وقيمة المعدن وتحديد الغرض الذي يستخدم من أجله والذي يحقق الخير للإنسان، تمامًا مثل الفضيلة، كما هو لا قيمة له بطبيعته إذا لم نقم بالسير والترجمة للمواقف ونقلها للآخرين. مثل كل شيء يتعلق بشخص أو يتفاعل معه. لذلك، يبدو أن هذا انتقاد لمذاق الفن وتطبيقاته في الحياة، ويمكن بلوره وتفسيره من خلال ما قاله (غراب) [13] في العديد من الضروريات، التي تنشأ في الشكل التالي:

ضرورة دراسة التذوق الفني

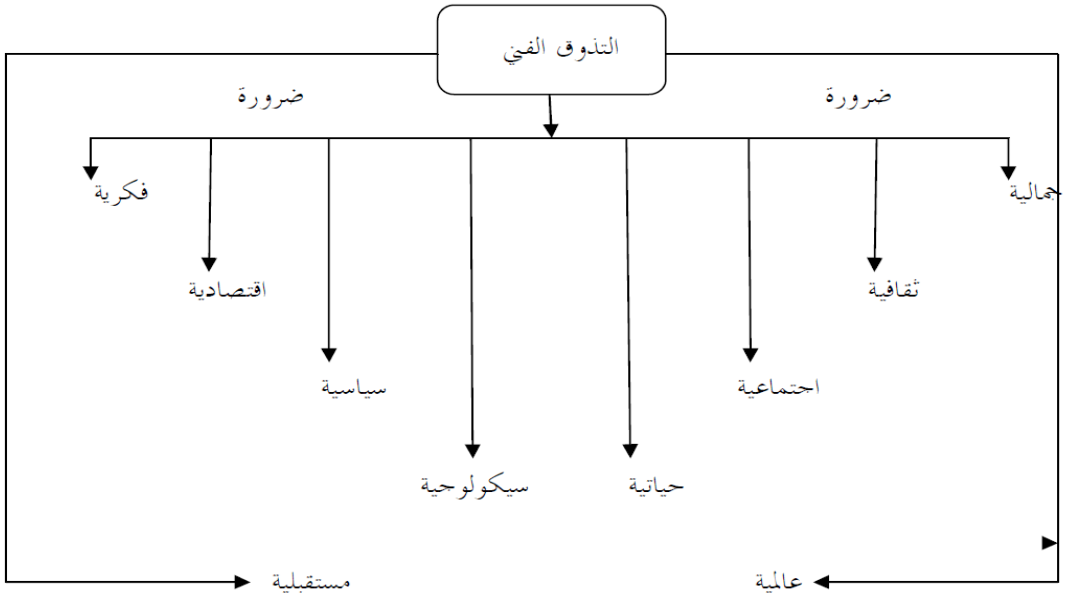

1- الضرورة الجمالية: فهم المعاني الجمالية والفلسفات الفكرية المرتبطة بها الضرورة الجمالية: فهم المعاني الجمالية والفلسفات المصاحبة لها من خلال منح القدرة مع مجال تطبيق أوسع للتصوير الفوتوغرافي، لأنه يساعد على تطوير العديد من الجوانب المختلفة، على وجه الخصوص:

- تنمية مهارات الحكم والتمايز في الجماليات، مع التقييم المستمر لجميع عمليات الإبداع والفكر والتعبير.
- تطوير قيم إبداعية ومبتكرة مختلفة.
- تطوير التعبير وفهم طريقة تحقيق التوازن الاجتماعي.
- اكتساب لغة غير لفظية للتواصل وفهم وصقل الغرائز المتعلقة بالاتجاهات.
- إثراء الفكر والرؤية البصرية والسلوك بقيم جمالية خيالية.

2- الضرورة النفسية للتذوق الفني: طريقة لصقل السلوك البشري وتنميته ثقافياً بواسطة:

- تحقيق التوازن العاطفي من خلال الذوق الفني أو المقارنة.
- إدراك التواصل مع الآخرين من خلال الفن وما يبدعه الشخص.

3 - طرق التعبير والفهم لتحقيق التوازن الاجتماعي:

- صياغة شكل السلوك وتقديره من خلال النظام الجمالي.

- تحقيق التوازن الاجتماعي من خلال وجود أفراد على المستوى الثقافي.
- التكيف مع اتجاهات التقدم في جميع المجالات.

4- الضرورة السياسية للتذوق الفني: تحديد المكان والزمان من خلال الفن والغرض بصفته سفيرا للعالم، ونقل بأمانه أصالة وتقاليد البشرية:

- تحديد الوضع الحضاري للمجتمع بين الدول ومواكبة التقدم العالمي.
- إيجاد لغة مشتركة من خلال الفن والجمال والتقاليد من أجل التفاهم الدولي.

5- ضرورة الحياة للذوق الفني: تحسين أنظمة التفاعل البشري المختلفة والحفاظ على الرموز وأشكال الفنون الإسلامية والعربية الأصيلة:

- جماليات التراث هي شكل من أشكال حياتنا.
- طريقة للتكيف الاجتماعي.
- توحيد مشاعر الإنسان داخل المجتمع..

6- الحاجة المستقبلية للمذاق الفني:

لمواكبة التقدم الحضاري في جميع المجالات الإيجابية للخدمة الإنسانية:

- محاولة التقدم على أسس مرتبطة بتاريخ الإنسان.
- محاولة للحفاظ على التراث والقيم الإنسانية التي هي مصدر التراث وتجربة الأجيال
- محاولة مواكبة الدول المتقدمة والسير معها لدعم البناء البشري.

7 – ضرورة الذوق الفني الشاملة: تحفيز الناس على نقاء وصدق الإنسان:

- الفن لغة عالمية تتحد من خلالها المشاعر الإنسانية ويتجاوز سلوكها وجود لغة واحدة للتواصل.
- الفنون خير سفراء للدول التي ينتمون إليها. إنه التعبير الصادق عن المشاعر الإنسانية.

8- الضرورة الاقتصادية للتذوق الفني:

لتعزيز ظهور الأشياء التي يستخدمها الشخص في الحياة، يعمل الجمهور على إثراء المنتجات بالقيم الجمالية والإبداعية:

- من خلال التجارة والصناعة والقطاعات الأخرى التي تستثمر في القيمة الجمالية اقتصاديًا لزيادة العرض والطلب.
- تعتمد نفسية الاكتساب وحركة الاقتصاد على المظهر الجمالي، أي على استخدام الفن في خدمة الصناعة والآلات الأخرى.

وظيفة التذوق:

أن الذوق الفني يهدف إلى تحقيق عدد معين من الأسس التي أثارها كل من خميس [12] وعبد الحميد [3]، وأهمها:

- تجنب التوتر الطبيعي لجميع أشكال الإدراك والشعور والجمال.
- تحقيق الاتساق بين مختلف أشكال الإدراك والشعور ببعضهما البعض وفيما يتعلق بالبيئة، مما يعكس تأثيره عن شعور بصيغة قابلة للتحويل من الناحية الجمالية.
- التعبير في شكل قابل للتحويل عن أشكال الخبرة الكلية التي قد تظل فاقدًا للوعي كليًا أو جزئيًا.
- التعبير عن الشعور بصيغة قابلة للتحويل من الناحية الجمالية، ويتم التعبير عنه بشكل قابل للتحويل من جميع التجارب، وقد يفقد وعيه كليًا أو جزئيًا.
- التعبير عن أنظمة جمالية جديدة لتحسين الحياة في جميع أبوابنا.
- محاولة لإيجاد الاستراتيجية العربية الإسلامية الجديدة في مجال المفاهيم الدينية جميلة.
- محاولة ترسيخ جماليات الإبداع العربي الإسلامي.
- تحديد القيمة الجمالية للمسلمين العرب وتطوير النظم السلوكية ضمن إطار جمالي يتسق مع العقيدة الإسلامية..

وسائط الذوق الفني:

هناك بعض الامكانيات التي من خلالها يمكن أن تحفز التقدير الفني وضح غراب [13] والتي منها :

- التربية البصرية: من خلال العين.
- التربية البنائية: التي تتم من خلال الفكر – الأعمال الفنية – التصميم.
- التربية اللفظية: من خلال التحدث والشعر والنثر واللعب.

- التربية الحركية: من خلال العضلات والرقص الإيقاعي.
- التربية الموسيقية: الصوت – الموسيقى.

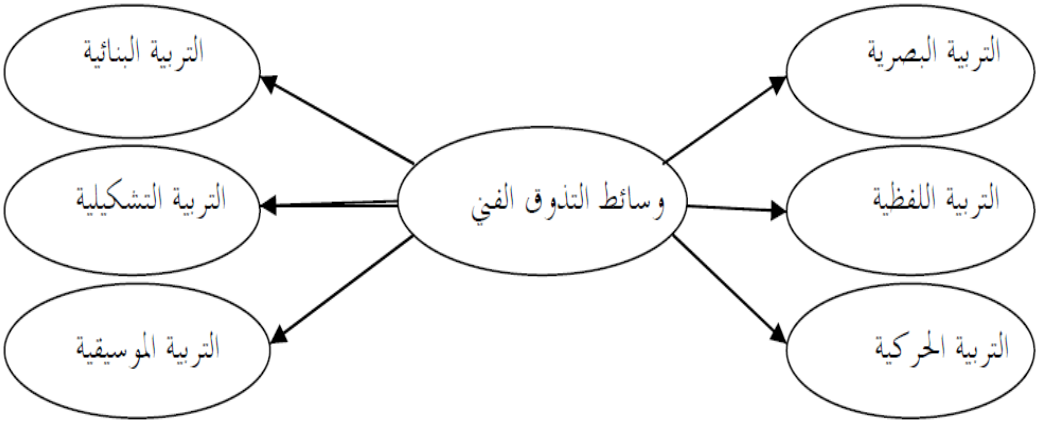

كما وضح غراب [13] شروط الاستجابة للصورة الفنية لمذاقها الجمالي وانتقادها ملخصة على النحو التالي:

1. وجود عمل إبداعي بخصائصه المميزة التي تحدد مستوى ودرجة الإبداع.
2. حضور شخصية إبداعية ممثلة خارجياً، أو أنها كامنة في الصورة الفنية، لأن كل صورة إبداعية تشير إلى وجود شخصية إبداعية.

كما لهذه الشروط عوامل تساعد في عملية الاستجابة وهي:

1. العامل المعرفي: ويشمل الاستعدادات العقلية والمعرفية.
2. العامل الانفعالي: ويشمل القيم والمواقف والاتجاهات والدوافع الشخصية.
3. العامل الاجتماعي: ويشمل التراث الثقافي والاقتصادي والاجتماعي وما هو مشترك بين المجموعات.
4. العامل الجمالي: ويشمل التدريب الفني والخصائص الكامنة (الغراب) [13].

الذوق الجمالي وحوار الثقافات:

أصبح من الممكن العثور على تطبيق لفكرة تقارب النماذج الجمالية المختلفة في إطار التقاليد الثقافية في الصور الفنية للعصر الفرعوني. في لوحة جدارية "ناب آمون"، استخدم الفنان المصري القديم الرموز البشرية للتراث الفني، مع بعض التعديلات الطفيفة في تمثيل الأشكال في الفضاء أما الأشكال الفنية الجديدة فقد ولدت من تقاليد فنية راسخة. يذكر (عطية) [10] أنه عندما ركز الفنانون المؤثرون في لوحاتهم على تسجيل تغيرات الألوان والاختلافات طوروا الطبيعة التصويرية، بالرغم من غزو الثقافة التجارية في مجال الثقافة العامة مما يسيء إلي حياة الإنسان، لذلك سيحافظ الفن الأصيل على شخصية الشخص وذكائه وعالمه الروحي. في عصر الاتصالات العالمية، سيتم تقديم المنتجات الثقافية، بما في ذلك الفن، لجمهور متعدد الثقافات وسيكون التراث الفني يشمل العديد من التقاليد الفنية، وتجاهل التنوع يجعلنا منحازين لثقافة معينة بطريقة مبالغ فيها، حتى على حساب الثقافة. هناك خطر متوقع، إذا كان الفنانون من أنصار الثقافة الغربية، ويتجاهلون قيمة الجمال من الحياة الواقعية والإرادة، على أساس الاختيار الحر سيبدو الفن أكثر تميزًا وثراءً وحيوية من حيث الجوانب الجمالية والتعبيرية والرسمية، إلى حد أنه يحتوي على العديد من الأفكار المتناغمة مع بعضها البعض.

تضمنت الصورة الفنية ثقافات مختلفة ومتناغمة تشهد على ازدهار الفن وتطور الثقافة.، ليس فقط من خلال إنشاء صورة تحقق وظائف تمثيلية أو تعبيرية، وتحويل الصورة إلى رمز، بل ستبحث عن إمكانية العودة إلى القيمة الطبيعية الأولية والبدائية. يمكن لثقافة مجتمع ما أن تستفيد من ثقافة مجتمع آخر، وإذا شعرت باحترام الثقافات الأخرى، على أساس مبدأ "لا توجد حضارة عالمية في المطلق، ولكن الحضارة تعني التعايش بين الثقافات المختلفة، لذلك يجب ان يعتمد الحوار العالمي بين الثقافات المختلفة على الحفاظ على أصالة كل ثقافة.

المبحث الثالث: ابعاد ومستويات ثقافة الصورة

ثقافة الصورة:

عرف كل من بخيت والعياضي [14] ثقافة الصورة بانه مصطلح هام يعنى برصد للرؤى المختلفة التي تحيط بالصور وتداعياتها ومعانيها وتأثيراتها وكيفية النظر إليها كرمز وكوسيلة للتواصل وكنظام متكامل للرموز وكناقل للمعرفة. ويعرفها (غراب) [13] بأنها الأشكال والعلاقات والمحتوى والتدريب التي تجلب الخبرة البصرية. ووفقًا لتعريف الجمعية الدولية للثقافة البصرية هي مجموعة

من المهارات البصرية التي يمتلكها الشخص عن طريق الرؤية، وفي الوقت نفسه عن طريق دمج التجارب الحسية الأخرى، ويمكن للشخص تمييز وتفسير الأحداث والعناصر والرموز المرئية التي يلتقي بها يوميًا في بيئته، سواء كانت طبيعية أو تم إنشاؤها بواسطة الإنسان، وبفضل الاستخدام الإبداعي لهذه المهارات يمكن التواصل بفعالية مع بعضها البعض. وكان التعريف الذي استخدمته جمعية التربية الوطنية هو القدرة على الفهم والتعبير عن نفسها من حيث المواد المرئية، وإقامة صلة بين الصور المرئية والمعاني الكامنة وراء هذه الصور.

هذا مشابه للتعريف الذي قدمه "برادين" و "وكر" في الثمانينيات في المؤتمر السنوي الثاني عشر حول الثقافة حيث بنيا تعريفهما على وجهة نظر تاريخية" وهي:

- استخرج معنى ما تراه.
- يمكنك توصيل المعنى للآخرين من خلال الصور التي تقوم بإنشائها.

في عام 1982، كتب هيموليش وميليندا وروسل Heimlich، Melinda، Russell التعريف التالي:

الثقافة البصرية هي القدرة المكتسبة على تفسير الرسائل المرئية بدقة وإنشاء مثل هذه الرسائل، وتلقي الرموز والتصورات من قبل البشر دون معرفة الشكل، ومفردات العناصر الجمالية، كما تعتبر الثقافة المرئية نظرية عامة للسلوك الفني بدلاً من نظرية المعرفة.

الثقافة من خلال الصورة الفنية:

تسعى الصورة الفنية المعاصرة إلى التأكيد على الثقافة من خلال دراسة الفن، والثقافة في هذا المجال تعني إدراج الخبرة، بحيث تكمل المعرفة والمهارات والمواقف والمفاهيم وتنسيقها في وحدة تؤثر على السلوك البشري، وتجعلها تجربة وطبيعة فريدة من نوعها. الثقافة أكثر من ذلك، اذ يتعلق الأمر بالكشف عن القيم وصقل المتلقين وجعلهم يكتسبون مبادئ ثمينة عندما يتصرفون ويتعاملون مع الآخرين، أو يتعاملون مع الحياة نفسها في معيشتهم وسلوكهم في علاقاتهم المختلفة مع الحياة. يمكن أن يتأثر المتعلم عندما يفهم السريالية من خلال إدراكه في حياته لأهمية الخيال والأفكار الباطنية والخفية التي لا تجد طريقة لتحقيقها، وعندما ينظر الشخص إلى الصورة الفنية التي يمكن أن تسمح له بفك شفرات مواهبه مع ثقافته وجعله يشرح ما قدمه هذا

الفنان، وإذا لم يغتنم فرصته من النتيجة الثقافية، فيمكنه أن ينظر إلى الصور الفنية والأعمال الفنية بطريقة سطحية. وبالتالي، فإن الثقافة الفنية، من خلال دراسة الفن في التعليم، تسمح للمتعلم بتفسير الأشياء بشكل أفضل على أساس فني وجمالي، والحصول على معرفة واعية بالتقاليد الفنية التي تمكن الفنان من إنتاجها عبر العصور، ويدخل تجربته ما لم يرث خلال نموه العديد من عناصر التقاليد، والتي أصبحت جزءًا من كيانه، أي أنه ينظر إلى الصورة الفنية التي أنتجها الشخص برؤية جمالية وهبت مع خبرة فنية لآلاف السنين. ونتيجة لذلك، يعتقد الباحث أن الصورة الفنية هي في الواقع أداة للثقافة الفنية، وعندما تنجح في رسالتها، فإنها تؤكد تلك الثقافة، وإذا فشلت، فإنها تنتج عادات لا تسمح للمتلقي أدرك المعنى الحقيقي للصورة وينتج عن إنتاجه الفني خسارة في الصفات الجوهرية التي كانت ستوفر كيانًا وقيمة كبيرة.

تعريف الثقافة البصرية وعلاقتها بالذوق والنقد:

الثقافة البصرية في ضوء مفهوم الثقافة هي وحدة متكاملة تشمل المعرفة والمعتقدات والفنون والأخلاق والقوانين والعادات، وكل ما يؤهل الشخص ليكون عضوا في المجتمع وهذا يظهر من خلال مظاهر الفنون المختلفة. بعبارة أخرى، هي مجموعة من النقاط التي يذكرها (غراب) [13] تثري المذاق وترفعه بصريًا ونقديًا، على النحو التالي: –

- معرفة غنية وتطورها.
- مكان معتقدات الخبير والناقد.
- مكانة الفنون في المجتمع.
- وضع الأخلاق في التفاعلات البشرية.

يعتقد وايت (غراب) [13] أن الثقافة البصرية هي نظام من الظواهر التي تنتقل بسهولة ويسر بين الجماعات البشرية وهي تاريخ البشرية منذ آلاف السنين، ويعرف عالم الاجتماع الأمريكي تالكوت بارسونز Talcott Parsons 1902–1979 الثقافة البصرية "المادية" على أنها نتاج تفاعلات الأفكار والسلوكيات وتفاعلات المجتمع، وأن اكتساب الثقافة هو عملية معرفية، وهي تمر عبر التفاعلات الاجتماعية، وتأتي هذه التفاعلات والمدخلات، والحياة البشرية، من خلال

قنوات مختلفة، ومن خلال تبادل الأجيال المختلفة، وقبل كل شيء هي هدف التعليم والغرض من القنوات والنظام التعليمي وأيديولوجية المجتمعات وفلسفاتها في الحياة.

ويعرف "رالف لنتون" Ralph Linton 1893–1953الثقافة بأنها مجموعة من المعلومات المنظمة التي تحقق خصائص اجتماعية فريدة ذات صلة بالمكان والزمان، ويرى ان الثقافة عملية فوق الانتماء البشري وهي حقيقة تحدد قوانينها.

الثقافة البصرية تتعلق بأنظمة ونماذج معينة، سواء كانت سلوك بين الأفراد أو عناصر الطبيعة، ويتم ذلك من خلال المجتمع وأنظمة التفاعل البشري من الأسرة، ومن خلال النظم السياسية والاقتصادية وغيرها.

الثقافة هي مؤشر لتحديد مستوى النقد والذوق والقدرة التقنية. الثقافة هي لغة تصقل التصورات البصرية، وبشكل اصطلاحي هي تنمية الأفكار والخصائص العقلية والعاطفية، وممارسة سلوك أنماط الحياة.

الثقافة هي وعاء يشمل جميع التفاعلات ومكونات المجتمع وهي جزء من الثقافة العالمية العامة. الثقافة البصرية في المجتمع الإسلامي هي ثمرة الفكر والإبداع التي يحددها إطار الإيمان والقيم التي يؤكدها كتاب الله عز وجل. الثقافة المرئية هي ملخص مستمد من السلوك البشري المدرك، لكنها ليست نفس السلوك. الثقافة هي التوازن بين الفنون البشرية التي تدعم التوازن البصري والجمالي للإنسان.

مما سبق نلخص أن ما يثري الذوق والنقد الفني ويرفعه بصريًا يعتمد على عدد من المصادر وهي الثقافة البصرية التي تشكل التجربة الفردية:

- التراث الموروث من جيل إلى جيل.
- التراكم الفكري والفني.
- ميزان الحضارات وخاصة الحضارة المعاصرة.
- الحياة الخاصة للمجتمع أو الأمة.

الخصائص العامة للثقافة البصرية:

في ضوء التعريفات والمفاهيم المذكورة أعلاه المتعلقة بالثقافة بشكل عام والثقافة البصرية بشكل خاص، يحدد الغراب [13] خصائص الثقافة المرئية بالطريقة التالية:

- الإنسانية: يتخصص الإنسان فقط في الثقافة ويعرف ويقدر مظهر الجمال في الحياة.
- الاستحواذ: تنتقل الثقافة إلى الأجيال والأجيال.
- التراث: يكتسب الشخص الثقافة منذ الولادة بتجارب مباشرة وغير مباشرة.
- التطبيق: يسمح هذا للأشخاص بالتفاعل والتعايش مع بيئتهم.
- الشبكة: تتكون ثقافة القطاعات الرئيسية في كل قطاع من فئات مختلفة
- الحضارة: هي التطبيق المادي للتراث الثقافي، وهي نتيجة لهذا التراث الثقافي، ومن الصعب فصل الثقافة عن الحضارة، بحيث يكون لكل واحد منهم عملة واحدة.
- الاختلاف: يعني تنوع المحتوى الثقافي في المجتمعات.
- الاستمرارية: تستمر الثقافة آلاف السنين وتتغير مظاهرها مع تغير الجيل في المجتمع. هذا لا يعني أن الثقافة لا تزال كما بدأت، هناك دائمًا تراكم منطقي للجزيئات العلمية.
- العضوية وما فوق الانتماء: تمتد جذورها في النوع البشري حتى يمارس الناس الذوق والنقد والتفكير.
- الوضوح والغموض والمثالية.
- المثابرة والتغيير.

الثقافة العامة والإعلام والصورة:

لقد تسببت ثقافة صورة الاتصال في حدوث هزات ثقافية، ويمكننا القول أن العلاقة بين ثقافة الصورة والتواصل قديمة قدم التحولات التي مر بها الجمهور من خلال وسائل الإعلام. عندما تصل الصورة للمتلقي، يقوم بفك تشفيرها وتحليلها ثم تذوقها، ويتم تثقيف الجمهور بثقافة شعبية من خلال هذه الصور، مما يؤدي إلى تأثر المستوى الثقافي، بعيدًا عن المنظور التربوي والنفسي والاجتماعي ومعركة المنافسة التي تفترضها وسائل الإعلام.

يؤدي الحديث عن ثورة الاتصال إلى الحديث عن الانعكاسات السلبية لهذه الثورة، وغالبًا ما ننسى أن هذه الثورة شجعت القطاعات الثقافية على التطور من خلال تقليل المسافات بين الشعوب والمجموعات ومشاركة أشكال الإنتاج الفكري والفني والتربوي والتعليمي والتربوي ومساحات الترفيه، وخاصة بفضل ما فعلته آلية التحولات العميقة لمفهوم العمل والأنشطة المقيدة وميول التسلية وعلاقتها بالثقافة التربوية والمنظور النفسي والاجتماعي. يلعب الترفيه دوراً في تعليم الأفراد وتنمية قدراتهم وتصوراتهم ومعرفتهم، كما يلعب دورًا في ديناميكيات المجتمع لأنه يمكن أن يكون مؤشرًا على التقدم أو التخلف الاجتماعي، كما تساهم عناصر ثقافة المجتمع وثورة الاتصال في تطوير طرق الترفيه بسهولة للتواصل بين الثقافات ومشاركة الأفكار والقيم والمواقف والسلوكيات. ويعتبر الإنترنت في العديد من البلدان المجال الأساسي للترفيه، وخاصة عند الشباب ويكون مرجعها الثقافي هو الصورة سواء استقبالها أو إنتاجها، مما يخلق تحولات جذرية في بنية العقل للأجيال القادمة، وينطبق هذا الحال على جميع الثقافات الكونية، ولسنا وحدنا من ستؤثر فيه هذه التحولات في ثقافة الصورة اليوم. لذلك، من الضروري العمل على تحصين الشباب من ثقافة الصورة الواردة بكل أشكالها، لمنع تداول الثقافات المختلفة المرتبطة بواقع ثورة الاتصال، التي ألغت الزمان والمكان وخلقت أشكالاً جديدة من الثقافة التفاعلية.

التأثيرات الاجتماعية والسياسية لثقافة الصورة:

بوسائل الاتصال الحديثة غيرت الصورة بشكل كامل دور المجتمع بشكل عام والأسرة بشكل خاص، حيث انتهكت حظر الحياة الخاصة في الأماكن العامة دون أي علامة استفهام لهذا الواقع الذي نعيش فيه. لقد نجحت الصورة وثقافتها في إحداث تغيير جذري في السلوك الاجتماعي والثقافي للمجموعات والأفراد.

إن المجتمعات ذات البنية الاجتماعية التقليدية والثقافات المحافظة أو تلك التي تعاني من حركة مستدامة على المستوى الاجتماعي والانفتاح على المستوى الثقافي لم تنج من هذه التأثيرات. وهذه التأثيرات ليست بالضرورة أشكالًا تعبيرية للتفاعل الحقيقي بين وسائل الاتصال الحديثة والمحتويات التي تمر بها المجتمعات والثقافات التي اخترقت فيها هذه الثقافة وانفتحت طواعية. أن ثقافة الصورة تنعكس على الأفراد والجماعات من خلال تأثيرها على العلاقات الاجتماعية لأن المجتمع مرتبط بشكل متزايد بالمعرفة في شكل معلومات، وبتكنولوجيا الاتصال والتأثير بشكل

كبير في مجال الكمبيوتر والوسائل السمعية والبصرية، التي اخترقت الزمان والمكان، وأصبح القبول أمرًا ضروريًا ونحن نعيش في حرب الصور والرموز التي عشناها مع حرب الخليج الثانية والحرب الأمريكية ضد العراق وسقوط بغداد ورأينا كيف يتم قتل جندي أمريكي لرجل عجوز جالس في بيت من بيوت الله بالفلوجة، وكيف تدخل عشرات الرصاصات جسد طفل فلسطيني مع والده، وهذه الصور تحركت حول العالم والمجتمع العربي صامت ومخدر بالصورة، بينما شعوب العالم الحرة تظهر الرعب الذي يعيشه المجتمع العربي في العراق وفلسطين والسودان.

أن الأجيال التالية ستشهد تحولات ثقافية واجتماعية كبيرة، هذه التحولات تحدث داخل نفس المنزل وتخلق حالات من الذعر النفسي والعقلي. ان المجتمع بحكم تقاليده يحاول الانغلاق على نفسه ليصبح في النهاية قنبلة موقوتة.

نتائج البحث:

1. أن الصورة تلعب دوراً إيجابياً في إثراء الذوق الفني للمتلقي
2. لصورة دور إيجابي في تنمية وإثراء المتلقي، وتحديد أماكن الذوق الجمالي والصلات التي تتكون منها المجموعة الفنية أو الثقافية.
3. أوضحت الدراسة أن الصورة أداة تواصل فعالة ومؤثرة للغاية وذات تأثير إدراكي وثقافي وفني وعاطفي.
4. للصورة دور إيجابي يساعد على تنمية الحس الجمالي للمتلقي
5. الرؤية التأملية للصورة والقراءة الجيدة وعلاقاتها الجمالية وخصائصها البنيوية تساهم في تطور الحس الجمالي للمتلقي ويزيد من احتياطيه المعرفي
6. من خلال تعميق الرؤية وإدراك العلاقات الرسمية التي تحكم بناء الصورة الفنية، نساهم في تنمية الشعور بالقيم الفنية والجمالية.
7. يلاحظ الأهمية المتزايدة للصورة فيما يتعلق بتسريع وسائل الاتصال وأدوات التأثير، بالنظر إلى أن الصورة هي واحدة من أهم الوسائل، إن لم تكن الأكثر أهمية على الإطلاق.
8. من أهمية ثقافة الصورة في النواحي الاجتماعية والاقتصادية والتعليمية ضرورة مراعاة قيم المجتمع ومعاييره.

9. ثقافة الصورة، بالرغم من مزاياها الهائلة، أدت في كثير من الحالات إلى هيمنة ثقافة التكرار والنسخ وسرقة أعمال الآخرين، بالإضافة إلى الخداع والتزوير وسرقة الأفكار والأعمال والمشاهد والهيمنة على ثقافة الاستلام والتلقي والتسامح والاسترخاء والاستهلاك والغياب، وفي ضوء هذا الحضور الكبير للمسيطر الآخر الذي جعل من خلال صورته وثقافته صورة مهيمنة وثقافة سائدة.
10. ضرورة دراسة الجوانب الفنية والثقافية والنفسية والاجتماعية أثناء إعداد الصورة لمخاطبة القطاعات أو الأفراد أو الدول بما يعزز تأثير الصورة الفنية والإعلامية.
11. قراءة الصورة الفنية وسيلة لاكتساب مهارات النقد والتذوق والتحليل الفني.
12. تؤثر الصورة الفنية بشكل إيجابي أو سلبي على الذوق العام للمتلقي.
13. ضرورة زيادة دورات الذوق الفني على المستوى الجامعي والتي يقدمها الاختصاصيون.

الخلاصة:

الصورة هي اللغة الجديدة التي تتجاوز جميع اللغات البشرية، لأنها تستحق التفكير والبحث كمجال جديد للبحث متعدد التخصصات، واعتبارها صناعة تسيطر على قطاع كبير من مجالات العلوم والمعرفة والفنون والتسلية وتحمل الدلالات والمعاني والرموز التي تعطيها قيمة وتجعلها أداة اتصال فعالة في التحولات الفنية والثقافية الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وبذلك تؤدي دور الاتصال بشكل مقنع وحضاري وجمالي، لأنها عنصر أساسي في الرسالة الإعلامية الجديدة، أننا نواجه تدفقًا للصور وتداعيات في مواجهة تحد غير مسبوق، لأن الصورة بألف كلمة ولا يقتصر تأثيرها على جانب دون اخر، من هنا وجب تعلم ومعرفة الصورة أولاً، وتطوير طرق قراءتها، وبالتالي تطوير لغتنا المرئية، وإعطاء أهمية مناسبة للمصممين والمصورين وطلاب الفن والنقاد والمعلمين، لا سيما فيما يتعلق بالأعداد والمؤهلات المناسبة، لأن الصورة بعد نشرها على نطاق واسع لا يمكن أن تتجاهل تواترها، ولكن يمكن فهم محتواها، مما يسهم في تفسيرها وقراءة دلائلها والمواقف التي تعبر عنها. وقد انتقلت الصورة من المشهد الجمالي كفن يهتم به الفنان في الشكل والتكوين للفن التطبيقي والوظيفي، والذي يهتم بالقيم الجمالية والثقافية والفكرية والنفسية، والصورة هي أفضل طريقة لجذب الانتباه من خلال ما تثيره من أسئلة وقيم وفكر وفلسفة، لأنها أرض خصبة للتعبير و تكوين الوعي.

للصورة دور كبير ومهم في إثراء الذوق الفني للمتلقي من خلال تحليل وفهم محتوى الصورة وقراءة خطوطها، ومن خلال تحليل وتفسير المحتوى الذي تحتوي عليه من الإملاءات والمؤشرات والرموز على مستويات مختلفة حسب الغرض من المرسل ونوع الرسالة وتفسير المستلم، ومن خلال مساحات ثقافة الصورة والتدخل في تدريبنا العقلي والنفسي والثقافي، مما يؤثر على توجهاتنا الفكرية والثقافية وتدريب ذوقنا العام.

المراجع:

1. الأستاذ. محمود حسن، سيمائية الصورة " استراتيجية مقترحة في تنمية تجليات إبداعية وفضاءات دلالية" ، جامعة الأقصى، غزة، فلسطين، 2007 م.
2. الغامدي. احمد عبدالرحمن، ثقافة الصورة الفنية وأثرها الاجتماعي والتربوي، جامعة فيلادلفيا، الأردن: 2007م.
3. عبدالحميد. شاكر، العملية الإبداعية في فن التصوير، عالم المعرفة، الكويت 1987م.
4. الطاهر. روابيه، سيمائيات التواصل الفني، مجلة عالم الفكر، المجلد ٣٥، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب: 2007 م.
5. بخيت. السيد، ثقافة الصورة الرقمية وجوانبها الأخلاقية والإعلامية، جامعة القاهرة، مصر، 200م.
6. برزسني. بيتر، جماليات التصوير والإضاءة في السينما والتلفزيون، ترجمة فيصل الياسري، مركز الحضارة العربية، القاهرة: 2003م.
7. بالعابد. عبدالحق، " سيمائيات الصورة بين القراءة وفتوحات التأويل "، جامعة الجزائر، 2007م.
8. البسيوني. محمود، آراء في الفن الحديث، دار المعارف، ط ٣، القاهرة: 1961 م.
9. حنورة. مصري عبدالحميد، الخلق الفني، دار المعارف، القاهرة 1977 م.
10. عطية. صلاح الدين عبد الرحمن، أسلوب الشبكة في التصميم والاستفادة منه في تنفيذ الأعمال الكبيرة من النحت البارز، كلية الفنون التطبيقية، جامعة حلوان، 1999م.
11. الغوثاني. راتب مزيد، المعاينة الجمالية، دار الينابيع للطباعة والنشر، دمشق: 2004م.
12. خميس. محمد حمدي، التذوق الفني، دار المعارف، القاهرة: 1976 م.
13. غراب. يوسف خليفة، المدخل للتذوق والنقد الفني، دار أسامه، الرياض: 2001 م.
14. العياضي. نصرالدين، الصورة في وسائل الإعلام العربية، الإذاعات العربية، ع83-74 ، 2006م.